

قد استخدم في هذه الحالة للدلالة على عضو مؤنث أو بالعكس . وهذا القول قد يظل غير مفهوم حتى نستطيع أن نحصل على بعض المعلومات عن نضوج التفكير الإنساني فيما يختص بالملاقات الجنسية ، فهذا الموضوع قد يكون في كثير من الأحيان غموضاً ظاهرياً فقط وليس حقيقياً ، وعلاوة على ذلك فإننا نجد أن أشد هذه الرموز افتقاراً للنظر مثل الأسلحة والجيوب والصناديق لا تستخدم أبداً للدلالة على الجنسين .

والآن دعوني أقدم لكم بياناً موجزاً مبتدئاً بالرموز نفسها بدلاً من الأشياء التي ترمز إليها ، لأطلعكم على المصادر التي اشتقت منها هذه الرموز الجنسية في الغالب ، وسأضيف إلى ذلك بعض الملاحظات خصوصاً عن تلك الرموز التي يصب فيها تحديد وجه القارة بينها وبين الأشياء التي ترمز إليها « فالقبة » مثلا أو أغطية الرأس على العموم تعتبر من الرموز القامضة ، وهي في المادة رمز مذكر وإن كانت تسمى من الجنين للجنين كرمز مؤنث . و « العطف » بالمثل يدل على رجل ولو أنه قد يدل في بعض الأحيان على الأعضاء الجنسية عموماً من غير تمييز ، ولكم

وأخذ عنقه وتحسس فيه البلعوم فقبض عليه قبضة شديدة منكرة زابلت لها وتلاينت وتقلص وجه الرجل واختلفت سحنته ورفس من احتباس النفس رفاً شديداً فاحمعه . واحتقن الدم احتقاناً مروّعاً وجحظت عيناه جحوظاً غريباً كأنها تفتش عن الكفر الذي رى به ... ثم تحافتت نفسه ... وقاضت روحه التي ملأت الأنداس أدباً وعلماً وفناً

وزفت بشرى خنقه إليه من حكم بقله ، فأمر بإخراج جنته وإحراقها علناً ... وهكذا كان ... فابقى للسان الدين غير اسم عظيم وتراث خالد .

وعرفت ابنة أخي لسان الدين هذا ... فالتسحت بالبياض حداداً (١) ... وخرجت هي وأزواجها حيث أبحرق ... وهناك قرأت عليهن قوله :

لم يكن وسلك إلا حلقاً في الكرى أو خلسة الخلتس
وأجكبت على الأرض التي قد يكون فيها شيء من رماده
دمعات من مقلة زرقاه .
صنية الكيولوني

(١) حداد الأندلسيين البيض ، وحداد المارلة السوداء .

١٠ - تفسير الأحلام

للمعلمة سميرة فروير

سلسلة عاضرات ألتاما في فينا

للأستاذ محمد جمال الدين حسن

الرموز في الأوهام :

ولكن يجب أن لا نظنوا أن هذه الرموز سهلة الاستعمال أو سهلة الترجمة فنحن أيها تلفتنا عثرنا على ما لم نكن نتوقع . فقد لا تصدقوا مثلاً أنه لا يوجد في الغالب حد فاصل بين الجنسين في هذا التمثيل الرمزي ، فكثير من الرموز تقوم مقام الأعضاء الجنسية على العموم ، سواء أكانت للذكر أم للإنتى مثل طفل « صغير » أو ابن أو ابنة « صغيرة » كما أننا قد نجد في حالات أخرى أن أحد الرموز التي تشير في الغالب إلى عضو جنسي مذكر

ويعود لسان الدين - وهو لا يدور بما حدث ، ويجتمع الفقهاء والمعلماء يقررون مصير لسان الدين . ولا بد من الفتيا وقد أقام لسان الدين بنظرها في السجن الذي زوجوه به حتى إذا جاءه كانت تحم قتل .

عرف لسان الدين أن الأمر قد تم ، وأن السهم قد نفذ ، وأن لا مرد لأمر الله ، فحنّ من بين مصائبه وآلامه وإحنته وسلاسله وأغلاله إلى نظرة في كتبه ، وإلى كلمات يريد أن يضيفها على آخر كتاب لما يكمله . وتاهف إلى جامع غرناطة وجامعتها ، حيث كان يلقى دروسه قبل أن يقرر كفره .

وقطع هذه التأملات جلجلة السلاسل ، وجاءه قوم غلاظ يحملون المشاعل يتقدمهم رجل فيه بسطة في الجسم لا قبيل لسان الدين وهو في الثالثة والستين من العمر يمثلها . تقدم هذا الملاق من السياسي الشيخ الفيلسوف الطبيب العالم الفقيه الشاعر الأديب يزج لحيته التي وخطها الشيب ، فلم يبق من سوادها إلا ما بقي من سواد تلك الليلة . يزج لحيته ليهد لقبضته الخشنة القوية من عنقه مكاناً يخنقه منه ، ووضع ركبته على صدر الرجل

أسباب وجهة ندعو إلى هذه الدهشة والتساؤل ، وقد يكون أول هذه الأسباب هو : كيف ندعى أننا استطعنا الوصول إلى معنى هذه الرموز التي تظهر في الأحلام في الوقت الذي نقول فيه إن العالم نفسه لا يستطيع أن يمدنا عنها بمعلومات تذكر ؟

وجوابي على ذلك أننا نستقي معلوماتنا من مصادر كثيرة مختلفة : نستقيها من الأساطير والحرفات ، والملح والنواتر ، وقصص الأولين ، أي نستقيها مما نعرف عن أقوال وأغانى الشعوب المختلفة والمادات والأخلاق التي كانوا عليها ، ومن طريقة استخدامهم للغة في الشعر وفي الكلام الدارج . فني كل من هذه المجالات المختلفة نمتر على نفس الرموز ، وقد نستطيع في كثير منها أن نقف على المعنى المراد في غير حاجة إلى دراسة سابقة لها . فإذا نظرنا إلى هذه المصادر المختلفة كل على حدة فنستمر على كثير من الرموز التي تطابق ما يظهر في الأحلام مما يضطرنا إلى الافتتاح بصحة طريقتنا في التفسير .

قلنا إن جسم الإنسان كما يقرر « شرزر » كثيراً ما يرمز إليه في الأعلام بمنزل ، فإذا توسمنا في هذا التمثيل الرمزي قليلاً ، فإن النوافذ والأبواب والبوابات تقوم مقام فتحات الجسم ، والجدر كما قلنا إما أن تكون ناعمة ملساء ، أو تحتوى على بروز وشرفات تصلح للتملق بها . وهذا التمثيل الرمزي نفسه تراه في اللغة الدارجة ، فنحن مثلاً نتكلم عن « سقف من الشعر » ، كما إننا نقول عن شخص ما إن « طابقت الأعلى » ليس على ما يراد (١) . وفي علم التشريح كذلك تسمى فتحات الجسم « بالبوابات » (٢)

وقد ندهش لأول وهلة عندما نجد أن الآباء والأمهات يظهرن في أحلامنا كلوك وملكات ، ولكننا نجد شيئاً لهذا في (الحواديت) . ألا نشعر عند ما نسمع كثيراً من (الحواديت) التي تبدأ بالكلمات : « يحكى ذات يوم أن ملكاً وملكة » أنها

(١) الزميل القديم يلقب في ألمانيا « بالبيت القديم » (altes Haus) والاصطلاح « ضربة واحدة على سفته » (einem aufs geben) يقابل عندنا الاصطلاح « ضربه على أم رأسه » .

(٢) الوريد « الباني » يحمل الأغذية من الأمعاء إلى الجسم عن طريق الكبد . و « البواب » (pyrotus) هو المنخل إلى الأسماء اتفاقاً كما أن نحات الجسم تسمى باللغة الألمانية Leibespforter ومعناها المرفق هو « بوابات الجسم » .

أن تتساءلوا عن السر في هذا . أما « ربطة الرقبة » فباعتبارها شيئاً يتبدل إلى أسفل ولا ترتديه النساء فعلى بلا شك رمز مذكر بيننا « الملابس الداخلية » أو « الكتان » على العموم يمثل الأنثى . و « الملابس » و « البزة الرسمية » كما قلنا تمثل العرى أو جسم الإنسان . و « الأحذية » (والشباب) تمثل الأعضاء التناسلية الأنثى . و « الموائد » و « الخشب » قلنا عنها إنها رموز عميرة ولكنها مع ذلك رموز مؤنثة ؛ ومن الحق أن « عملية تسلق » السلام أو الأمان الوعرة عبارة عن رمز للعملية الجنسية . وقد نلاحظ إذا دققنا النظر أن اطراد النغم أثناء التسلق هو النقطة المشتركة بين العمليتين ، وربما أيضاً ازدياد اللهفة الذي يصحبهما ، واحتباس النفس كلما أوغل التسلق في الصمود .

وأينما أن « الأصمغ » تمثل الأعضاء التناسلية للأنثى ، والجبال والصخور عبارة عن رموز للقضيب . و « الحديقة » وهي رمز يتكرر ظهوره باستمرار تشير إلى الجهاز التناسلي للأنثى بينما « الفاكهة » تقوم مقام النهود لا الطفل . « والحيونات المتوحشة » تدل على الأشخاص المنفعل الحواس ومن ثم على الدوافع الشديدة والمواطف الآتمة . و « النور » و « الأزهار » تمثل الأعضاء التناسلية للأنثى ، وعلى الأخص وهي عذراء . وبهذه المناسبة أذكركم بأن النور في الحقيقة عبارة عن أعضاء التناسل في النبات .

ونحن نعلم من قبل كيف تستعمل الحجرات كرموز ، وقد نستطيع أن نتوسع قليلاً في هذا التمثيل فنقول إن : « النوافذ » و « الأبواب » (وهي الداخلة إلى الحجرات والمخارج منها) قد تعنى فتحات الجسم ، ومما يتفق مع هذا التمثيل الرمزي أن الحجرة تكون « مفتوحة » و « منققة » . والفتاح « الذي يفتحها هو من غير شك رمز للقضيب .

هذه مادة لا بأس بها تصلح لدراسة الرمزية في الأحلام ، وهي ليست مادة كاملة ، فقد نستطيع أن نتوسع ونتمم فيها مآك . ولكن مع ذلك أظن أنها قد تبدو لكم أنها أكثر من اللازم وربما لا تجوز لديكم القبول فيتساءل الواحد منكم قائلاً : « أراي حقاً أعيش وسط رموز جنسية ؟! كل هذه الأشياء التي تحيط بي ، والملابس التي أرتديها ، والأدوات التي أستعملها عبارة عن رموز جنسية دائماً ولا شيء غير ذلك ؟ » . وهناك في الواقع

على المرأة أو الأم إنما نحى هذه الفكرة القديمة .
والولادة يمر عنها غالباً بأشارة إلى الماء ، فأما أننا نفوس
فيه أو نخرج منه ، أى أننا نلد أو نولد . وهذا الرمز يجب أن
لا ننسى أنه يشير إشارة مزدوجة إلى الحقائق الثابتة في نظرية
التطور . فالنديات البرية ، التي نشأ عنها الجنس البشرى ، لم
تهبط من كائنات تسكن الماء فحسب ، بل إن كل ثديي ، أو كل
كائن حي ، قد أمضى الفترة الأولى من حياته في الماء — أى
كجنين في السائل الأمنيوي الذي يملأ رحم الأم . وبذا يكون
عند الولادة قد خرج من الماء . وأنا لا أقرر أن الحالم على علم بشيء من
ذلك ، بل إنني على العكس أصرح لكم أنه لا حاجة به إلى هذا العلم ، فهو
في الغالب يعلم شيئاً آخر مما كان يحكى له وهو طفل ، ولكنني أقرر
كذلك أنه حتى هذا لا دخل له في تكوين الرموز . فالطفل
تقول له مربيته إن طائراً كبيراً (أبو حديج) هو الذي يقوم
بإحضار الأطفال ، فإذا سأل : ومن أين يأتي بهم ؟ قيل له من البئر
أو من (الفسقية) أى من الماء مرة أخرى . وقد حدث لأحد
ببرضاى الذين قيلت لهم هذه الحكاية وهم أطفال (وقد كان في
هذا الوقت « كونتا » صغيراً) أن اخفتني طيلة بعد الظهر وأخيراً
وجد راقداً على حافة البحيرة التي في القصر وقد انحى وجهه
الصغير على منقحة الماء الرائثة وأخذ يمدق في لفنة عله يستطيع
أن يلح الأطفال الذين في قاع الماء .

وفي الأساطير التي تروى عن ولادة الأبطال ، وقد قام
« أو . رانك » (O. Knka) بدراسة واقية لها ، نجد أن التمرض
للماء والنجاة منه يلعبان دوراً كبيراً . وقد أدرك « رانك » أن
هذا يرمز إلى الولادة بطريقة شبيهة بالطريقة المستخدمة في
الأحلام . فالشخص الذي يرى في الحلم أنه ينقذ أحداً من الماء ،
يحمل هذا الأحد أمأ له ، أو أمأ على أية حال . وفي الأساطير نجد
أن من تنقذ طفلاً من الماء تعتبر نفسها أمه الحقيقية . وهناك نادرة
تروى عن طفل ذكى من بنى إسرائيل ، وهي أنه عند ما سئل من
تكون أم موسى ، أجاب على الفور : « الأميرة » . فقيل له :
« كلا إنها التقطته من الماء فقط » . فأجاب : « هذا ما تقوله
هي » . وقد دل بذلك على أنه قد وقع على التفسير الصحيح
للأسطورة .

محمد جمال الدين عسمة

(يتبع)

تعنى بكل بساطة « يحكى ذات يوم أن أبا وأمأ . » ؟ كما أننا نجد
الأطفال في الحياة المائلية يلقبون بالأمرأ على سبيل المزاح ،
والأكبر فيهم يلقب بصاحب السمو . والملك نفسه يدعى أبا الشعب ،
وكذلك نجد الأطفال في كثير من الممالك يتحدث الناس عنهم
كحيوانات صغيرة ، فيقولون مثلاً : « ضفدع صغير » أو « حشرة
صغيرة » كما في ألمانيا .

والآن دعونا نعد مرة ثانية إلى التمثيل الرمزي بالنزل . إذا
كنا في أحلامنا نتخذ من البروز التي في المنازل حوامل نمتاق بها
الأيذ كرنا هذا بقول عامي معروف جداً في اللغة الألمانية للدلالة
على المرأة ذات الصدر الناضج وهو : « لأن لها شيئاً يستطيع المرء
أن يتعلق به » (Die hst etwas zkm anhalten) بينما
هناك قول عامي آخر للدلالة على نفس المعنى وهو : « أن هناك
كثيراً من الخشب أمام منزلها » (Die haf viel holz)
(vovdem hanse) كما كان هذا القول على بالنا عند ما قلنا
في تفسيراتنا إن الخشب يرمز إلى المرأة أو الأم .

وهناك شيء آخر يجب أن يقال بخصوص الخشب ، فليس
من السهل أن نرى على الفور كيف صار استخدامه للدلالة على
المرأة أو الأم ، ولكن المقارنة بين عدة لغات قد تفيدنا في هذه
الحال . يقال إن الكلمة الألمانية holz (خشب) مشتقة من
نفس المصدر الذي اشتقت منه الكلمة الإغريقية التي معناها
المادة الخام . وهذا مثل لملمية ليست نادرة الحدوث ، وهو أن
اسماً يدل على المادة على الموموم قد صار استخدامه أخيراً للدلالة
على مادة معينة فقط . والآن لملككم تعرفون جزيرة « ماديرا »
(Madeira) التي تقع في المحيط الأطلنطي والتي أطلق عليها
البرتغاليون هذا الاسم عند ما اكتشفوها لأنها كانت في ذلك
الوقت منقطة بنبات كثيفة ، إذ أن كلمة Madeira في اللغة
البرتغالية معناها الخشب . ولكنني أحسبكم لن تغفلوا عن أن
تلاحظوا أن كلمة Madeira ما هي إلا صورة منقحة من الكلمة
اللاتينية Madeira التي تدل أيضاً على المادة عموماً . ولكن
Madeira مشتقة من Mafer ومعناها الأم . والمادة التي يصنع
منها أى شيء يمكن أن ينظر إليها على أنها قد تسببت في ولادة
هذا الشيء . وعلى هذا فنحن في استخدامنا الخشب كرمز للدلالة
(١) ونحن في الواقع نقول : « فلان تطلق بفلاة » فكأنما الحالم
يهم هذه الفكرة .